الشجرة في الفكر السومري

د. وفاء أحمد السيد بدار•

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على دور الشجرة في الفكر السومري وقد ظهر هذا الدور بشكل واضح في كل من الفكر الديني والفن عن السومريين.

وقد أتى دور الشجرة في الفكر السومري كنتيجة لتأثر السومريين بالبيئة من حولهم إذ كانت الأشجار إحدى المكونات البيئية الواضحة المعالم في جنوب بلاد الرافدين.

ويتضح تأثير الشجرة في الفكر السومري في مجال الفكر الديني حيث الاعتقاد في وجود آلهة الأشجار، كما ورد ذكر الشجرة في الأساطير الدينية للآلهة.

وظهر دور الشجرة كذلك في مجال الفن، وذلك في تمثيل الأشجار على كل من الفخار، الأختام الاسطوانية، المنحوتات والحلي.

ويؤكد هذا البحث على أهمية البيئة في حياة الإنسان وعلى أهمية الأشجار عند السومريين.

مقدمة:

تأثر الإنسان في بلاد العراق القديم بالبيئة من حوله بكل ما فيها من عناصر ومكونات كالأرض والأنهار والجبال والأشجار وقد انعكس صدى هذا التأثير على فكرة ومعتقداته التي كانت بدورها حجر الزاوية في الإنتاج الحضاري لهذا الإنسان سواء كان هذا الإنتاج متمثلا في مجال الفكر الديني، الفن ، الأدب ، العلوم ، والفكر القانوني.

وكانت الشجرة إحدى مكونات البيئة في بلاد العراق القديم ، لذا تأثر بها الإنسان في العصر السومري ، إذ أدرك بخبراته وتجاربه مدى أهميتها في حياته وتبلور ذلك في هذا الميراث الفكري عن الشجرة في بلاد العراق القديم وهو ميراث وضع السومريون جذوره وأسسه فنما وازدهر خلال العصور اللاحقة، والواقع أن المتأمل للتراث الفكري عن الشجرة في بلاد العراق القديم ليقف متسائلا عن الإنسان في العصر السومري وكيفية إدراكه لأهمية الشجرة في حياته على هذا النحو ثم يتسأل عن الميراث الفكري عن الشجرة في حياة هذا الإنسان وكيف جسد رؤيته عن الشجرة وأهميتها من خلال إنتاجه الحضاري ، فلم يترك مجالا إلا وأكد من خلاله على أهمية الشجرة ودورها في حياته اليومية فكانت الشجرة عنصرا زخرفيا على الفخار، وكانت موضوعا على الأختام كما كانت تجسد على المنحوتات ، وتدخل في تركيب الحلي وأصبحت تمثل فكرا دينيا في الأساطير المتعلقة بالخلق ونشأة الكون ودور الآلهة.

• أستاذ مساعد تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم كلية الآداب - جامعة الإسكندرية.

كما أضحت مادة في الأدب تتحدث عنها القصص ويرد ذكرها في القصائد الشعرية، وأصبحت الشجرة مادة تتحدث عنها القوانين ويخصص لها عقوبات لمن يتعدى عليها بالقطع أو الإزالة وكانت أجزاء من الأشجار تدخل في المعالجات الطبية لشفاء المرضى كما صارت تعويذة سحرية لطرد الأرواح الشريرة.

ونظراً لأهمية الشجرة على هذا النحو عند السومريين فسوف تحاول الباحثة من خلال هذا البحث دراسة هذا الموضوع وستقتصر الدراسة على الأشجار في الفكر الديني والفن عند السومريين، وذلك لدور الأشجار الواضح في هذين المجالين على نحو يؤكد بشكل أو بأخر على أهمية هذا الدور ثم أن كل منهما يرتبط بالأخر فقد آتى دور الأشجار في الفن كانعكاس لدورها في الفكر الديني.

ويتضح هذا الدور جلياً خلال عصر دويلات المدن السومرية، والعصر السومري الحديث.

وسوف تتناول الباحثة هذا الموضوع كما يلي:

١- الشجرة في الفكر الديني عند السومريين:

- الشجرة الإلهة.
- الشجرة والقرابين.
- الشجرة وعقاب الآلهة.
- الشجرة والأماكن المقدسة.

٢- الشجرة والفن عند السومريين:

- الشجرة على الأواني الفخارية.
- الشجرة على الأختام الأسطوانية.
- الشجرة على المنحوتات.
- الشجرة على الرسوم الجدارية.
- الشجر والحلي

١- الشجرة في الفكر الديني عند السومريين:

ستبقى الزراعة واحدة من أهم الاكتشافات التي توصل إليها الإنسان في العراق القديم خلال مسار رحلته الطويلة عبر الزمان، إذ تمثل الزراعة في نتائجها الحد الفاصل بين عهود البربرية وعهود الحضارة ، فهي الركيزة الأولى لحضارة الإنسان في جنوب بلاد الرافدين ، وعلى ثرى هذا القسم من بلاد الرافدين نشأت أقدم القرى والتجمعات السكانية المعتمدة على الزراعة الاروائية[١]، حيث ابتكر الإنسان أساليب بسيطة للري في هذه المنطقة[٢].

(١) رضا جواد الهاشمي: تاريخ الري في العراق القديم، سومر، العدد ٣٩، ١٩٨٣، ص ٦٢، ٦٤

(2) Mcintosh, R.J., Ancient Mesopotamia, Oxford, 2005, P 58

وتثبت الأدلة الأثرية أن الإنسان في جنوب بلاد الرافدين، قد عرف زراعة الأشجار خلال عصر حضارة العبيد ، حيث اكتشف في موقع تل العويلي (العبيد0) أولى الدلائل الأثرية التي تؤكد على زراعة الأشجار خلال هذه المرحلة، وقد تمثل ذلك في اكتشاف "نوى" شجرة النخيل وعلى قطع خشبية من شجرة الطرفاء وشجرة الحور، الأمر الذي يؤكد على أن جنوب بلاد الرافدين كان مركزا لزراعة هذه الأشجار[٣] وشيئا فشيئا نمت أرض سومر في جنوب بلاد الرافدين وكانت من أولى مواطن الحضارة في بلاد العراق القديم[٤]، وأسس السومريون منذ الألف الرابع ق. م عددا من دويلات المدن التي اعتمدت في نشأتها على الزراعة، كما كنت الحدود بين تلك المدن تحدد من خلال قنوات الري[٥]، ومع تطور هذه المدن سرعان ما نشب الصراع السياسي والاقتصادي فيما بينها من أجل السيطرة على الأراضي الزراعية وموارد المياه[٦].

هذا وينسب للسومريين اهتمامهم بزراعة الأرض والقيام بالعمليات الزراعية المختلفة من تطهير للقنوات الزراعية وتجهيز الأرض وإعدادها للزراعة ، ويعكس الأدب السومري هذا الاهتمام بالزراعة ، إذ تشير إحدى القطع الأدبية التي تعرف باسم "تعاليم فلاح" إلى ذلك ، فهي بمثابة نصائح من أب فلاح لابنه حيث يحثه على تنظيف الأرض وإزالة الحشائش وإعداد الأدوات فيقول له " **يجب أن تكون أدواتك جاهزة ، ويجب غلق أجزاء الأرض بأحكام** "[٧] ولا شك أنها نصائح ذات أهمية حيث يحث الأب ابنه على إعداد الأدوات اللازمة للزراعة وغلق الأرض عند الري حتى لا تتسرب المياه.

كما تتحدث نصوص أخرى من عصر أسرة لجش عن كيفية حرث الأرض وترك مسافات بين البذور وتنقية الأرض من الحشائش[٨]

وكان لمعرفة السومريين باستخدام قنوات الري[٩]، تأثير هام في تطور الزراعة ، حيث تمكن السومريون من زراعة أنواع مختلفة من المحاصيل كالقمح والشعير كما عرفوا زراعة أنواع متعددة من الأشجار[١٠].

(3)Neff, R., Plant Remains Archaeological Calsiets in Lowland Iraq: Tell EL, Oueili in oueili Travaux De 1985, no.8, Paris 1991, P.323-324.

(4)Bernabea, P., Ancient Egypt and the Near East, An illustrated History, New York, 2011, P.46.

(5) Carfinkle, J.S., Public Verisus Private in the Ancient Near East. In A Companion to The Ancient Near East. Edited by Snell, D., Oxford, 2005, P.391-392.

(6) Duiker, W. Spielvogel, J., The Essential World History, USA, 2008, P.9

(7) Mcintosh, R.J., Op. cit, P. 128 - 129

(8) Postgate, J.N. , Early Mesopotamia Society and Economy at The Dawn of History, London, 1992, P. 162.

(9) Alizadeh, A., CHOGOHA MISH II, The Development A Pre Historic Regional Center in Low Land Susiana South West Iran, Chicago, 2000, P. 1.

(10) Bernabeo, P. Op. cit, P. 46

وكان السومريون يطلقون على الشجرة في نصوصهم اسم (Giš) وهي لفظ يطلق على الشجرة بشكل عام(١١).

ويمكن القول بأن الشجرة كانت واضحة للعيان كنوع هام من أنواع النباتات التي توفرت في البيئة بجنوب بلاد الرافدين، وكان وجودها على هذا النحو ذات تأثير على الفكر الديني عند الإنسان السومري حيث زودته ممارسة الزراعة بخبرات جعلته يؤمن بالقوى التي تسبب خصوبة الأرض، ونمو النباتات. ومن هذا المنطلق تأتي أهمية دراسة الفكر الديني عند السومريين لكونه يمثل حلقه في تطور الفكر الديني الإنساني ببلاد الرافدين ولأنه نابع من مختلف التجارب التي واجهها الإنسان السومري في جنوب بلاد الرافدين(١٢).

الشجرة والآلهة:

يتضح من خلال دراسة المعتقدات الدينية للإنسان في بلاد العراق القديم ، أن ثمة علاقة واضحة كانت تربط بين الآلهة والأشجار، حتى يمكن القول بأن أهل العراق القديم قد عرفوا تقديس الأشجار بل واعتبارها كبديل للآلهة في بادئ الأمر ثم كانت الآلهة ذات الصلة بالأشجار(١٣).

هذا وتؤكد الأدلة النصية المتعلقة بالفكر الديني عند السومريين، أن الشجرة كانت تشكل جزءا من ثلاث ممالك مختلفة، فهي جزء من العالم السفلي للمعبودة (ايرشيكجال) ، ومن مملكة الأرض للمعبود (انليل) ومن مملكة السماء للمعبود (آنو)(١٤) كما ارتبطت الأشجار بالمعبود "انكي" والمعبودة "انانا" والمعبود "دموزي" وهذا ما تشير إليه النصوص المتعلقة بهذه الآلهة، إذ ورد ذكر دور المعبود "انليل" في خلق ونضج الأشجار وذلك في إحدى الترانيم المتعلقة بالتسبيح والابتهال لهذا المعبود ، ومما جاء في النص :-

لولا انليل ما بنى الطير عشه في الأرض الواسعة
لولا انليل ما وضع السمك بيضه في الأهوار
" أينما زرعت الأشجار يجعلها تحمل ثمارا
يجعل البساتين الخضراء وافرة النماء

- Postgate, J.N., Op.cit, P. 169 - 170

(11)Langdon, S., "The Necessary Revisions of The Sumerian Epic of Paradise" AJSL, vol.33, no.3, 1917, P. 248.

(١٢) أحمد أمين سليم: دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم، ج٦، حضارة العراق القديم، الإسكندرية، ٢٠٠١، ص٣٢١.

(13) Jeffrey, N., Head, J.R., The Investiture Panel at Mari and Rituals of Divine Kingship in The Ancient Near East, SBA, 4, 2012, P. 18

كانت الأشجار ألهه في الديانات السامية. أنظر:

- Smith, R., The Religion of Semites, New York, 1969, P. 128.

(14) Kramer, N.S., Inanna A Queen of Heaven and Earth, New York, 1983, P. 144.

"يجعل القمح ينمو في الحقول "[١٥]

كما ورد ذكر إحدى الأشجار وارتباطها بالسماء، وذلك في نص سومري عثر عليه في مدينة "إبلا" يقول النص:-

"شجرة الطرفاء. شجرة فريده
شجرة السماء جذورها في السماء
لكل من انكي ونينكي "[١٦]

كما يؤكد هذا النص على صلة المعبود انكي والمعبودة نينكي بهذه الشجرة.

هذا وقد ارتبطت المعبودة "انانا" بشجرة تدعى شجرة Huluppu (الحلبو)[١٧] إذ تذكر أسطورة "أنانا وشجرة الحلبو" أن المعبودة "انانا" قد رأت هذه الشجرة التي كانت تنمو على نهر الفرات ، وقد جرفها التيار إلى مدينة الوركاء فأعجبت بها المعبودة "انانا وحملتها إلى بستانها المقدس"[١٨].

وقد جاء في نص هذه الأسطورة:

" .... في هذا الوقت ، شجرة وحيدة شجرة (الحلبو)
نمت على شواطئ نهر الفرات
اقتلعتها الرياح الجنوبية وجرفها التيار بعيدا
لقد التقطت الشجرة من النهر
وأحضرتها إلى بستاني المقدس
وتعهدتها بالرعاية وقررت أن أصنع سرير وكرسي منها

(15)Kramer, N.S., History begins at Sumer. Thirty–Nine first in Recorded History, Philadelphia, 1965, P. 133.

(16) Pettinato, C., "Le Collezioni en –e-nu – Ru – Di Ebla" in Ao, 18, 1979, P.339-340.

- Krebernik, M., Di Beschörungen aus Fara und Ebla: Untersuchungen zur ältesten keilschriftlichen Beschworungsliteratur, Texte und Studien zur Orientalistik, Bd2, Hildesheim-Zurich-New York, 1984, i2-ii4.

(17) Clifford, R.J., Great ion Accounts in The Ancient Near East and The bible, The Catholic Biblical Quarterly Monograph series, 26, Washing tom Dc, 1994, P. 23 – 24.

ربما تكون شجرة " الحلبو" هي شجرة الصفاف أو شجرة النخيل التي ظهرت كثيرا في الفن ببلاد العراق القديم.

انظر:

- Kramer, N.S., Op. cit, P. 178.

(18) Shaffer, A., " Sumerian Sources of Tablet xll of The Ebic of Gilgamesh. Ph. D. diss, university of Pennsylvania" 1963, P. 99 ff.

- Dalley, S., Myths from Mesopotamia, Oxford, 1984 P. 50 ff.

كان للمعبودة " انانا " عدة أسماء منها (إنن–اننين) وعن ذلك انظر

- Gell, J.I., The "Name of Goddess Innin", JNES, Vol. 14, no. 2, 1960, P. 76.

هذا وقد كانت المعبودة (انانا) تذكر بأسماء مختلفة في عدة مدن. وعن ذلك انظر

- Reiner, E., Asumero-Akkadian of Nana, JNES, Vol. 33. No. 2, 1974, P. 221.

ولكن ثعبانا اتخذ جزءها الأسفل مأوى له
كما بنى فيه طير الصاعة "زو" عشا لصغاره
واتخذت الشيطانة ليث وسطها مأوى لها"[١٩]

كما كانت المعبودة "انانا" ذات صلة وثيقة بشجرة النخيل على نحو خاص، حيث ترتبط المعبودة "انانا" بالنمو وفكرة الخصوبة، كما تذكر "انانا" عن نفسها أنها هي من جعلت عثاكيل التمر وفيرة النماء[٢٠].

ويعد المعبود "انكي" واحدا من أهم المعبودات التي تكرر كثيرا ذكر دوره وصلته بالأشجار وذلك فيما يلي:

تربط الأساطير بين المعبود "انكي" وشجرة تسمى (me-s) وقد ورد ذكر ذلك في نص أسطوري من النصوص السومرية في مدينة ابلا، إذ جاء بالنص

"نيسابا
العذارء
فوقهم
جُعل هو لكي يكون
موضوع
طين على هيئة (قرص)؟
فوق الطين
أدوات
الأشجار
البساتين
Me-s
إلي ايا/ انكي"[٢١]

وهكذا يربط هذا النص بين المعبود "أيا/انكي" والبساتين والأشجار.

كما تشير الأساطير المتعلقة بالخلق إلى صلة المعبود"انكي" بشجرة تسمي شجرة kiskanu (كيشكانو)، وقد ورد ذكر ذلك في سياق نص سومري يشير إلى خلق المعبود "انكي" في موضع صافي ونقي وذكر المعبود "انكي" في سياق النص، كما ذكر المعبود "انكى" في سياق النص بأنه ملك أريدو.

(19) Kramer, N.S., op.cit, P. 7.

(20) Miller, F.N., " Plant Forms in Jewellery from Royal Cemetery at Ur" Iraq, Vol. 62, 2000, P. 153.

(21) Otto, D.E., Hymnen, Beschwörungen und Verwandtes Aus Dem Archiv, L.2769, (ARET5), Rome1984, x2.

- Lambert, W.G., The Language of ARET V 6and 7, in Qusem18, 1992, p.35,x4.

يقول النص:
"..... الملك مثل شجرة kiškanu
الذي خلق في موضع جاف وصافي
مثل شجرة الـ kiškanu"(٢٢)

ومن ناحية أخرى تتحدث الأساطير عن دور المعبود "انكي" في زراعة البساتين ونموها، وقد ورد ذكر ذلك في سياق أسطورة (انكي –ننخرساج– أرض دلمون) ، إذ تصف الأسطورة أرض دلمون بأنها أرض الرخاء والنماء، بلد الصفاء، أرض لا مرض ولا موت ولا شر حيث جعلها المعبود "انكي" أرضاً غزيرة المياه العذبة، كثيرة الخصب والخيرات ذات زروع وبساتين(٢٣).

هذا وقد ارتبط المعبود "دموزي بالأشجار ، وخاصة شجرة التفاح وشجرة النخيل ففي أسطورة "نزول انانا إلى العالم السفلي" تتحدث الأسطورة أنه بعد عودة المعبودة "انانا" من العالم السفلي، وجدت زوجها المعبود "دموزي" يجلس بزهو في منصة شامخة في ظلال شجرة تفاح كبيرة فغضبت عليه وقررت الانتقام منه بتسليمه إلى شياطين العالم السفلي(٢٤)

كما كان المعبود " دموزي" وما يمثله من دور في طقس الزواج المقدس، ممثلا للحيوية لحياة جديدة في شجرة النخيل فهو الفلاح الذي يزرع هذه الشجرة والقوى التي تسبب النمو(٢٥).

وهكذا كانت الشجرة ذات صلة بعالم الآلهة بكل ما تضمنه من غموض يكتنف العلاقة بين كلا الجانبين.

الشجرة والقرابين:

كان من واجبات الأحياء تقديم القرابين من (طعام وشراب وزيت) لأقاربهم من الموتى(٢٦)

(22) Geller, N.J., " A Middle Assyrian Tablet of Utukku le Mniatu Tablet 12", in Iraq, 42, 1980, P. 24.

(23) Jacobsen, T., "Sumerian Mythology :A Review Article", JNES, Vol. 5 no. 2, 1946, P. 131.

طه باقر، مقدمة في أدب العراق القديم، بغداد، ١٩٧٦، ص ٨٨

يبدو أن البساتين في دلمون كانت تشتهر بزراعة النخيل، وقد وردت إشارة عن ذلك في نص ديني يشيد ببابل جاء فيه: "بابل نخيل دلمون ثمره حلو المذاق". انظر:

- Ebeling, E, "Ein Pre Islied of Babylon" Olz, xix, 1916, Cols. 132-133.

(24) Kramer, N.S., History Begins at Sumer, Philadelphia, 1956, P. 322.

(25) Mcintosh, R., Op.cit, P. 220.

(26) Black, J., Green, A., An Illustrated Dictionary Gods, Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia, London, 1992, P. 27-28.

وكانت ثمار بعض الأشجار تقدم كنوع من أنواع القرابين للموتى، إذ أثبت ذلك الكشف الأثري في الجبانة الملكية لمدينة "أور"[٢٧] حيث عثر على ثمار تفاح جاف، وكذلك ثمار تمر متفحم بعدة أماكن بالمقبرة الأمر الذي يدل على تقديم هذه الثمار كقرابين للموتى[٢٨]

ويتضح مما سبق ذكره أن شجرة النخيل كانت من أهم أنواع الأشجار عند السومريين لذلك كان التمر من بين القرابين التي تقدم للموتى ، ثم أنها شجرة وفيرة الإنتاج ومصدرا هاما للطعام[٢٩] وقد أدرك الإنسان أهمية هذه الشجرة فاستخرج منها أنواعا عدة من الخمور والدبس والخل، واستخدم النواة كوقود وعلف بعد سحقه، واستخدم السعف والجريد لعمل الأثاث وتلبية احتياجاته اليومية[٣٠].

الأشجار وعقاب الآلهة:

كانت الأشجار من وسائل عقاب الإلهة للإنسان، إذ ورد ذكر جفاف الأشجار كنوع من العقاب الإلهي في أحد النصوص المتعلقة بسقوط مدينة "أور": إذ يقول النص

".... الآلهة العظام لمدينة أور أصبحت خارج المدينة وخمدت النيران في بيوتهم الواحد تلو الآخر

جفت أشجار أور . جفت قصابتها"[٣١]

يتضح من خلال النص السابق أن الإلهة عندما تركت مدينة أور، جفت الأشجار مما يعني التوقف لمظاهر النمو والطبيعة.

ويبدو أن صدى فكرة العقاب الإلهي بالحرمان من الأشجار قد استمر في العهد البابلي، ففي ملحمة " اتراخسيس" وهي النص البابلي الثالث عن الطوفان نقرأ ما يلي

" لقد عمرت الأرض وتكاثر الناس
تكاثروا حتى تختمت بهم الأرض كما تختم الشاه،
وتزايدوا حدا أزعج الإله " انليل" بتجمعاتهم
لقد وصل ضجيجهم إليه في "في عليائه"

---

(27) Miller, F.N., op.cit, P. 153.

قام الأثري "ليونارد وولي" بالكشف الأثري عن الجبانة الملكية لمدينة أور. انظر:

- Woolley, L., Ur of the Chaldees, A Record of Seven Years of Excavation. Rev. ed. Harmondsworth Penguin, 1950.

(28) Miller, F.N., "Symbols of Fertility and Abundance in the Royal Cemetery at Ur", Iraq, AJA, 117, 2013, P. 128.

(29) Barbara, N., " Sacred Trees, Date Palms and the Royal Persona of A Shurnasirpal II" JNES, Vol., 52, no. 2, 1993, P. 129.

(٣٠) سامي سعيد الأحمد، الزراعة والري، مجلد حضارة العراق القديم، الجزء الثاني بغداد، ١٩٨٥، ص ١٦٧.

(31) Wilson, K.J, "on the UD- Su Bala at Ur Towards the End of the Third Millennium BC" Iraq, Vol. 67. No 2, 2005, P.55

فقال للآلهة الكبرى
لقد ازداد صخب البشر
وجعل النوم بعيداً عن عيونى
فلتقع الأشجار التي تطعمهم
ولتعو بطونهم طلباً للطعام"[٣٢]

وهكذا كان عقاب الإله "انليل" للبشر بحرمانهم من الأشجار حتى تعوي بطونهم من نقص الطعام فلا يجدوا طعاماً يعينهم على الحياة.

ومن ناحية أخرى كانت الآلهة تعاقب من يقطع الأشجار، ففي إحدى القصص السومرية وهي قصته "جلجامش وأرض الحياة" كان موت "انكيدو" رفيق جلجامش عقاباً له لأنه اقترف عدة آثام إذ اقتلع اشجار غابات الارز المقدسة وقتل حارسها.

إذ تروي القصة أن جلجامش فكر في أن مصيره سيصبح الفناء مثل مصير سائر البشر ففكر في البحث عن الخلود، لذلك عزم أن يسافر سفرا طويلاً إلى أرض بعيدة هي (أرض الحياة) إلى غابة شجرة الأرز فاخبر تابعه وصاحبه "انكيدو" برغبته فأشار عليه أن يطلع إلى اله الشمس "أوتو" لأنه الإله الموكل بتلك الأرض ؛ وتستمر القصة في سرد رحلة جلجامش إلى هذه الأرض حتى وصوله إليها[٣٣].

هذا وتتدخل الآلهة أيضا لإنقاذ الأشجار من الهلاك، وهذا ما تخبرنا به قصة " إنانا والفلاح" إذا تتحدث القصة عن فلاح بستان اسمه "شوكاليتودا" قد حلت به الكوارث حيث تعذر عليه إنجاز أعماله المألوفة في البستنة وأنه مهما اعتنى بالحرث والإرواء فإن أشجاره جفت، وصار ما يقوم به من عناية الزرع يؤول إلى الخراب، فلجأ البستاني إلى الآلهة فقدمت له يد العون وزرع شجرة وصفت بأنها "واسعة الظل" واستطاع أن يزرع في ظلها بأنواع مختلفة من الأشجار فازدهر ونما بستان هذا الفلاح[٣٤]

الشجرة والأماكن المقدسة

كانت الشجرة دائما ما ترتبط بالأماكن المقدسة، فأينما ذكرت الشجرة نجدها تقترن بمكان مقدس ذات صلة بالمعبودات أو بطقوس خاصة ببعض المعبودات من خلال استخدام أجزاء من مكونات الشجرة أو زيت الشجرة.

---

(٣٢) فراس السواح : مغامرة العقل الأولى، دراسة في الأسطورة – سورية وبلاد الرافدين– دمشق، ١٩٩٦، ص١٧١

(33) Marchant, F., Gilgamesh : A New Rendering in English Verse by David Ferry, HR, no.2, 1992, P. 197-198

طه باقر : نصوص من الأدب العراقي، سومر، المجلد السابع، ١٩٥١، ص ٢٧-٣١.

- Parpola, S., "The Assyrian Tree of life" JNES, 52, no. 3 1993, P. 192-195

(٣٤) طه باقر : نصوص من الأدب العراقي، سومر، المجلد الخامس والعشرون ١٩٦٩، ص٣٧-٣٨.

وكانت البساتين من أهم الأماكن ذات الصلة بالشجرة، فحينما تذكر البساتين نجد أن الأمر يرتبط بإله ما ، وهذا ما تؤكده العديد من الأدلة النصية . ومن ذلك ما يلي:

ذكرت الشجرة في إحدى أساطير الخلق السومرية التي تشير إلى زراعة عدد من الأشجار في بستان تم أروائه جيدا وتتحدث الأسطورة عن حوار دار بين المعبود "انكي" "وتاككو"

جاء فيه
انكي ظهر أمام تاككو
في معبده وصاح افتح الباب . افتح الباب
من أنت بحق
أنا البستاني . منضج فاكهة شجرة ...
وسأعطيها لك كمكافأة
فرح تاككو وفتح الباب
من انكي منضج الفاكهة إلى تاككو
فاكهة شجرة ... أعطيتها لك
فاكهة شجرة .... أعطيتها لك
فاكهة شجرة ... أعطيتها لك[٣٥].

ولم يتضح مدلول اسم هذه الأشجار ، نظرا لوجود كسر بالنص، كما يشير هذا النص إلى لقب البستاني وهو من ألقاب المعبود "انكى".

كما أن المعبودة "انانا" كانت تقيم في بستانها المقدس، إذ ورد بأسطورة " انانا وشجرة الحلبو" أن المعبودة "انانا" قد أحضرت هذه الشجرة إلى بستانها وتعهدتها بالرعاية[٣٦]

ومما هو جدير بالذكر في هذا الصدد ارتباط نشأة بعض الملوك في " العصر السومري" بالبساتين، كما حمل بعضاً من هؤلاء الملوك لقب "البستاني" ومنهم الملك "جلجامش" ففي إحدى الأساطير التي تتعلق بهذه الملك ، ذكرت الأسطورة أنه في عهد الملك " انمركار" ابلغ بأنه ابنته ستضع طفلا يقوض ملكة فقام بحبس ابنته في برج وعندما وضعت ذلك الطفل ألقى به من البرج فالتقطه بستاني ونشأ في بستان قبل أن يصبح جلجامش ملكا[٣٧].

(35) Jastrow, M., "Sumerian Myths of Beginnings" AJSL, Vol. 33. No.2 , 1917, P.131
(36) Kramer, no.5., Inanna A Queen of Heaven and Earth, New York, 1983, P.178
(37) Jacobsen, T., The Sumerian King list, Chicago 1973, P.145

كما تذكر الروايات أن الملك "انليل-باني" من أسرة "ايسين" قد نشأ في بستان وكان بستانيا قبل أن يصبح ملكا، وعرف عن الملك "سرجون الاكدي" أنه قد نشأ في بستان حيث وجده بستاني وقام برعايته، وأصبح بستانيا(٣٨)

وهكذا تتضح أهمية البساتين كمكان مقدس ويبدو أنه كان المكان الأول لعبادة الإلهة.

وقد يفسر ذلك تلك العلاقة الوثيقة بين الملك والشجرة وقد انعكس صدى هذه العلاقة واضحا في مجال الفن في العصر السومري الحديث إذ صور الملك على المنحوتات وهو يحمل فرع شجرة ، أو كان الملك يقوم بسكب الماء المقدس على الشجرة . وسوف يتضح ذلك في موضع لاحق من هذا البحث.

كما كان الملك "شولجي" يوصف بأنه ذا هيئة رفيعة مثل شجرة me.s المحملة بالثمار(٣٩)

هذا وكانت الشجرة ذات صلة بالسماء فكما تتزين الشجرة بالأوراق وصفت السماء بأنها تزين كذلك بأوراق الشجر، وقد ورد ذكر ذلك في قصيدة تتعلق بولادة مظاهر الحياة المرتبطة بالمعبود "انكي" فيقول النص

" .... زينت السماء رأسها بأوراق الشجرة
وظهرت كأنها الأميرة
الأرض المقدسة تبرجت
من أجل السماء المقدسة"(٤٠)
فالسماء المقدسة تزين بأوراق الشجر

وكانت أغصان وأخشاب شجرة الأرز وباقات من شجر الأسل تستخدم في طقس الزواج المقدس وذلك في الطقوس الخاصة بالإعداد لهذا الزواج(٤١).

كما كانت شجرة الأرز من الأشجار المقدسة عند الإنسان السومري إذ تذكر أسطورة جلجامش ملك الوركاء، أنه وصل إلى جبل الأرز حيث تنمو شجرة الأرز وحيث مقر عرش الآلهة والإلهات، كما تشير الأسطورة إلى صناعة باب كبير من خشب شجرة الأرز لمعبد المعبود "انليل"(٤٢)

---

(38) Ibid, p.89, no.128

اهتم الملوك في بلاد الرافدين بإقامة الحدائق والبساتين، إذ حرص الملك نبوخذ نصر على إقامة حدائق تبدو كالجبال الطبيعية حيث استخدم كتل الأحجار بجوار قصره، وزرع بالحديقة فيها كل أنواع الأشجار. انظر

- Oppenheim, L., "on Royal Gardens in Mesopotamia" JNES, 24. no. 4, 1965, P.330

(39) Kramer, N. S., History Begins at Sumer, USA, 1965, P.294

(٤٠) خزعل الماجدي، متون سومر، الكتاب الأول، الأردن، ١٩٨٨، ص ٧٢ -٧٤

(٤١) صمويل كريم، من ألواح سومر، ترجمة طه باقر، مراجعة وتقديم: أحمد فخرى، القاهرة، ١٩٥٨، ص٢٣٧-٢٣٨

(42) Hakimion, S., Byblos, in Byound Babylon. Art, Trade and Diplomacy in the Second Millennium. B.C., New York, 2008, P51.

هذا وقد أشارت المعبودة "انانا" إلى زيت شجرة الأرز المقدس وذلك في سياق أسطورة سومرية تعرف باسم "انانا وانكي"

ومما جاء في نصوص هذه الأسطورة

"..... أنا ملكة السماء ، أنا ذهبت إلى ابسو إلى اريدو
إلى السيد انكي . وسوف أتحدث وابتهل إليه بحديث
مثل زيت شجرة الأرز الحلو "[٤٣]

وهكذا يتضح مما سبق ذكره أن الشجرة كانت ذا تأثير واضح على الفكر الديني عند السومريين، إذ تأثر هذا الفكر بوجود الشجرة في البيئة بشكل آثار انتباه الإنسان السومري، فكانت الصلة بين الشجرة وعالم الآلهة.

٢- الشجرة والفن عند السومريين

يمثل الفن عند السومريين مرحلة رئيسية في تاريخ الفن ببلاد العراق القديم بشكل عام وقد نبتت ونمت جذور الفن في بلاد العراق القديم جنوبا مع السومريين وقد تأثر كل من الفن البابلي والفن الأشوري بالفن السومري[٤٤] والواقع أن الفن عند السومريين كان انعكاساً لمعتقداتهم وتأثرهم بالبيئة المحيطة بهم، ويتضح هذا التأثر في ظهور الشجرة من خلال هذا الفن السومري، إذ بدأت الشجرة تظهر كموضوع فني خلال الألف الرابع ق. م، وكان ظهورها ذا مغزى ديني، ومع الألف الثاني ق. م، شاع ظهور الشجرة في الفن بمناطق الشرق الأدنى القديم[٤٥]

ويمكن القول بأن الشجرة كانت تمثل موضوعاً ورد تصويره وتجسيده في الفن السومري وذلك في كافة المجالات المتعلقة بهذا الفن كالفخار، الأختام والمنحوتات والحلي.

الشجرة على الأواني الفخارية:

تحظى دراسة الفخار بأهمية خاصة، لأنها تعكس الكثير من الخصائص الصناعية والفنية والثقافية[٤٦]، وقد تعددت أغراض صناعة الفخار فاستخدم في نقل وطهي وتخزين الطعام، وفي الطقوس الدينية[٤٧]

- Hansman, J., "Gilgamesh, Humbabo and the Land of Erim-Trees", in Iraq, Vol.38-Part1, 1976, p.31.

(43) Farber, G., "Inanna and Inki" in Geneva A Sumerian Myth Revisited" JNES, Vol.54, no.4, 1995, P.291

(44) Al-Kaissi, B., Mural Panintings and Pigments in Iraq" Sumer, Vol. 43 p.168

(45) Parpola, S., "the Assyrian Tree of life: Tracing the origins of Jewish Monotheism and Greek Philosoply" JNES, Vol. 52 , n 3 1993, P. 161

(46) Maston, F., "Ceramic Archeology", JCS, Vol. 34 no 2, 1955, P.33

(47) Gregg, W.N., Organic Residue Analysis and the Earliest uses of Potery in the Ancient Middle East, Toronto, 2009, P. 21.

- Mcintosh, R., op.cit, P. 251

وقام الإنسان في العراق القديم بزخرفة الأواني الفخارية بالعديد من أنواع الزخارف ومنها الزخارف النباتية كأوراق الأشجار، والأشجار وسعف النخيل، وقد تضمن فخار العبيد نقوش زخرفيه لنباتات وأشجار(٤٨) وذلك كما في شكل رقم (١).

ويبدو أن فخار العبيد قد انتقل ناحية الحدود الجنوبية الشرقية ، إلى منطقة سهل سوسه في إيران ، إذ أصبحت سوسه في ذروة عصر العبيد موطنا هاما لصناعة الخزف القديم ويقتني متحف اللوفر في باريس مجموعة نفيسة من فخاريات سوسه ومنها آنية على شكل كأس كبير عليها زخارف ومنها سعف شجرة النخيل(٤٩) كما في شكل رقم (٢)

ويمكن القول بأن ظهور الشجرة أو أوراق الأشجار على الأواني الفخارية كنوع من الزخارف في النباتية، كان مقدمة لظهور الشجرة بعد ذلك وبشكل واضح على الأختام الاسطوانية ، والمنحوتات.

الشجرة على الأختام الأسطوانية:

تمثل الأختام وطبعات الأختام مصدرا هاما من المصادر الأثرية الخاصة بالدراسات التاريخية الدينية والفنية بمنطقة الشرق الأدنى القديم، إذا تتضمن الأختام مادة ومعلومات عن الحكام، الآلهة، الأشكال الخرافية، الحيوانات، النباتات وكذلك عن الناحية الاقتصادية، وغير ذلك من الموضوعات التي ورد نقشها على الأختام(٥٠) ولا يمكن لدارس تاريخ الفن في بلاد العراق القديم، أن يتجاهل دور الأختام في منظومة هذا الفن، بالإضافة لدورها في دراسة الكتابة والإدارة والناحية الدينية والاقتصادية سواء في ذلك الأختام المنبسطة والأختام الاسطوانية(٥١) وقد تعددت المواد التي صنعت منها الأختام، ومنها الأحجار والمعادن والطين(٥٢) ونظرا لأهمية

---

(٤٨) اكرم محمد: "فخار عصر العبيد في العراق القديم"، سومر، العدد، ٤٤، ١٩٨٥، ص٣٢ شكل١٧(٤-٩).

(٤٩)بارو: سومر فنونها وحضارتها. ترجمة عيسى سلمان، سليم طه التكريتي بغداد، ١٩٧٧، ص ١٠٨. شكل ٧٨.

تميز فخار سوسه بتنوع الأشكال وتعدد الزخارف ومنها الزخارف النباتية انظر:

- Alizadeh, A., GHOGHO MISH II ".The Development of A Pre Historic Regional Center in lowland Suisana Southe Western Iran, Chicago, 2008 P.351

(50) Pittman, H., Ancient art in Miniature: Near East seals from the collection of Martin and Sarah Cherkasky, the Metropolitan Museum of Art, New York, 1987, P.5

(51) Feldman, H. m., Mesopotamian Art, in Blockwell Companions to the Ancient World, A Companiom to the Ancient near East by Snell. B Oxford, 2005, P.287.

رضا جواد الهاشمي: مدخل لدراسة الأختام في الخليج العربي، سومر، العدد ٥٠، ١٩٩٩- ٢٠٠٠، ص٣٨٧.

(52) Benzel, K., Graff, S., Art of the Ancient Near East A Resource Educators, the Metropolitan Museum Art, 2010, p. 66

الأختام ودورها في دراسة تاريخ وحضارة بلاد ما بين النهرين فإنها تحظى بدقة الدراسة لفهم محتواها ودلالته.

وقد تم فحص ودراسة أكثر من ألفي ختم اسطواني ، ووجدت أنها تؤرخ بالفترة من ٣٣٠٠ – ٢٣٠٠ ق. م ، أي خلال عصر الأسرات المبكر، وكانت هذه الأختام تمثل الحياة اليومية للإنسان خلال هذه المرحلة[٥٣].

هذا وقد ظهرت الشجرة على الأختام الاسطوانية كإحدى الموضوعات التي نقشت عليها ، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

طبعة ختم اسطواني محفوظ في متحف المتروبوليتان، تؤرخ بعصر الأسرات المبكر الثاني حوالي عام ٢٦٠٠ ق. م حيث تظهر على الختم شجرتان يتوسطهما مجموعة من الغزلان، وشخص طويل القامة، وبجوار الشجرتين يقف جهة اليمين شخص يؤدي (رقصة أو قد يكون طقس ما) وعلى الجانب الأيسر شخص آخر يقوم بأداء نفس الرقصة أمام الشجرة الأخرى[٥٤] كما في شكل رقم(٣). وقد يشير هذا المنظر إلى تقديس الشجرة.

وكان تمثيل الشجرة على الأختام وطبعات الأختام أكثر وضوحا في عصر أسرة أور الثالثة ومن ذلك طبعة ختم من مدينة نيبور يؤرخ بعام ٢٠٥٠ ق. م ، حيث يقوم الملك أمارسين" بطقس سكب ماء على آنية بها شجرة في حين تقدم إليه المعبودة "إنانا" خاتما وعصا وهما من رموز السلطة الملكية، كما تبدو شجرة أخرى إلى يسار المعبودة وشجرة ثالثة على يسار الملك وكما في شكل رقم (٤) وعلى طبعة الختم نقش كتابة بالمسمارية تقرأ كما يلي:

(المقدس أمارسين . ملك الجهات الأربعة
محبوب إنانا . لوجال
مشرف معبد انانا . كاهن المعبود انليل
ابن انليل . مشرف معبد انانا.
كاهن المعبود انليل . خادمك"[٥٥]

كما ظهرت الشجرة بوضوح على ختم اسطواني من "أور" يؤرخ بنهاية الألف الثالث ق.م مصنوع من حجر الاستيت، أبعاده : ٢,٦×١,٥٥سم محفوظ في المتحف البريطاني تحت رقم ١٢٢٩٤٧.

(53) Schuch, J., Ancient Mesopotamian Through Cylinder Seals, 3300 – 2300 B.C Stony Brook University Mesopotamian Art, 2011, P.2

(54) Crowford, E., Ancient Near Eastern Art, the Metropolitan Museum of Art. Guide to the Collections. The Metropolitan Museum of art, New York, 1960, P.8, Fig. 9

(55) Selin, H., Mathematic Across Cultures the History of Non Western Mathematics, Kluwer Academic Publischers, USA, 2000, P. 98, Fig.7.

ويظهر على الختم رجل، شجرة، عقرب ثعبان وظبي بقرنين[٥٦] وذلك في شكل رقم(٥)

هذا وقد قام "هنري فرانكفورت" بدراسة مجموعة من الأختام التي وجدت في منطقة "ديالي" ووجد أن بعضاً من تلك الأختام تتبع نفس نموذج الأختام خلال عصر الأسرات المبكر لذا قام بتصنيفها إما إنها تؤرخ بعصر الأسرات المبكر أو قد تعود إلي العصر الأكدي أو عصر أسرة أور الثالثة[٥٧].

ويمكنا من خلال تتبع المناظر الواردة على هذه الأختام أن نقسمها إلي قسمين:

١- **القسم الأول**: تظهر الشجرة علي الأختام في منظر يجمع بين الشجرة وبعض الحيوانات كالغزالة، العنزة

٢- **القسم الثاني**: تظهر الشجرة علي بعض الأختام وأمامها شخص أما جالس أو واقف في هيئة المبتعد للشجرة، وهو منظر تكرر ظهوره في عصر أسرة أور الثالثة (العصر السومري الحديث)

أما فيما يتعلق بالأختام في القسم الأول فمنها:

ختم اسطواني يؤرخ بعض الأسرات المبكر الثاني، من المرمر الأبيض، إبعاده ٣,٣×٤سم، ويظهر علي الختم عنزة وشجرة وشكل معبد[٥٨] كما في الشكل رقم (٦).

ختم اسطواني يؤرخ بعصر الأسرات المبكر الثاني، من الحجر الأسود، إبعاده ٣,٤×٤,١سم، ويظهر علي الختم شجرة علي جبل، ثلاث من الماعز اثنان من العقارب وسحلية[٥٩]. كما في شكل رقم(٧).

كما تبدو الشجرة بوضوح أيضاً علي ختم اسطواني من الحجر الأسود يؤرخ بعصر أسرة أور الثالثة، ارتفاعه ٢سم، ويظهر علي الختم شجرة ونسر يمسك بمخالبه غزاله[٦٠]. كما في الشكل رقم (٨).

أما فيما يتعلق بالأختام في القسم الثاني فمنها:

ختم اسطواني من الحجر الأسود، يؤرخ بنهاية عصر أسرة لا رسا، أبعاده ١,٩×٩سم ويظهر علي الختم شخصا متعبدا ممسكا بإناء وهو جالس أمام شجرة ويبدو أن الشخص يقوم بأداء طقس ما أمام هذه الشجرة [٦١] وذلك كما في شكل رقم(٩)

(56) Aruz, J., from the Mediterranean to the Indus, Art of the First Cities. The Third Millennium B.C from the Mediterranean to the Indus, the Metropolitan, New York, 2003, P.410-411 fig, 301a

(57) Frankfort, H., Stratified Cylinder Seals from the Diyala Region, Chicago, 1955, P. 35

(58)Frankfort, H., Stratified Cylinder Seals from the Diyala Region, Chicago, 1955, Fig852, PL 80.

(59) Ibid, Fig 853, PL 80

(60) Ibid, Fig 683, PL 64

(61)Ibid, Fig.932, PL 88

ختم اسطواني آخر من الطفل، يؤرخ بعصر أسرة ايسين ولا رسا أبعاده ٢,٣×١,١سم، وقد نقشن عليه منظرا يصور إله ومتعبد إمام الشجرة [٦٢] كما في شكل رقم (١٠)

وبناء علي ما سبق ذكره فيما يتعلق بظهور الشجرة علي الأختام الاسطوانية فيمكن القول بأن الإنسان في العراق القديم، قد اتجه لتقديس الشجرة خلال العصر السومري.

هذا وقد أثر الفن السومري في صناعة الأختام علي الفن خلال العصر الأكدي ومما يدل علي هذا التأثير، ظهور الشجرة كذلك وبشكل واضح علي الأختام في هذا العصر، ومن الأمثلة علي ذلك ختم اسطواني من الحجر، أبعاده ٣,٨×٢,٨سم، محفوظ بالمتحف البريطاني تحت رقم ١٢٩٤٨٠ وبصور هذا الختم قصة "إيتانا" حاكم أسرة كيش، الذي ذكرت إحدى الأساطير عنه، أنه صعد إلي السماء علي ظهر نسر ليجلب " نبات الحياة ".

وقد ظهر علي الختم رجل يحمله نسر ثم الرجل وهو يحمل بإناء أمام الشجرة ويرفع يده الأخرى بينما شخصا أخر يبدو كمتعبد أمام الشجرة، وأسدان، أحداهما يرتكز علي الشجرة برجله اليمني والأسد الآخر يقف تحت الشجرة، كما تظهر عنزة وثلاثة من الكباش[٦٣] كما في الشكل رقم (١١)

الشجرة علي المنحوتات

ظهرت الشجرة علي المنحوتات في منطقة جنوب العراق القديم، قبل العصر السومري ومن الأمثلة علي ذلك " إناء نزري " وهو من نماذج النحت علي الحجر والإناء عبارة عن آنية أسطوانية من المرمر، من الوركاء ويؤرخ بالفترة من ٣٣٠٠ – ٣٠٠٠ ق.م محفوظ في متحف بغداد تحت رقم ١٩٦٠٦، ويظهر علي الإناء أربعة صفوف من مناظر مختلفة ويبدو في الصف الأول شخصاً وكأنه ملك وحيوانات وسلال، وقد ظهر في الصف الثاني مجموعة من حملة القرابين وهم يحملون سلالاً بها منتجات غذائية ومنها ثمار لفاكهة، أما الصف الثالث فيتمثل مجموعة من الحيوانات، ويظهر في الصف الرابع مجموعة النباتات إذ تبدو كسنابل القمح أو بعض الأشجار وذلك كما في الشكل رقم (١٢)، وهذا الإناء يمثل تقديم القرابين للمعبودة "انانا"[٦٤] وكذلك تبدو الشجرة واضحة علي آنية من حجر الاستيت

(62) Ibid, Fig 943, PL 88

(63) Hansen, P.D, Art of the Akkadian Dynasty. in Art of the First Cities. The Third Millennium, B.C from the Mediterranean to the Indus. The Metropolitan Museum, New York, 2003, P. 219, Fig, 148

وعن ظهور الشجرة على الأختام في العصر الأكدي والعصر الأشوري . انظر

- Pittman, H., op. cit, P.23 Fig.12

(64)Hansen, D., Art of the Early City- States, the Metropolitan Museum, New York, 2003, P.24 Fig, 9.

(الحجر الصابوني)، تؤرخ بعصر الأسرات المبكر ٢٧٠٠ ق.م. محفوظة في متحف المتروبوليتان تحت رقم 17.190.106 ارتفاعها ٩,٢٥سم، هذا وقد وجدت هذه الآنية في سوسه ويبدو إنها انتقلت من بلاد الرافدين خلال المعاملات التجارية بين الجانبين وقد نقشن عليها نقش بارز لأشجار النخيل والجبال[٦٥] كما في شكل رقم (١٣).

كما تظهر الشجرة كذلك عدة لوحات، منها ما يلي:

لوحة من الطين تؤرخ بعصر حضارة جمده نصر، محفوظة في متحف المتروبوليتان أبعادها ٢,٥٠×٥,٥سم

وتظهر علي اللوحة مجموعة من العلامات المسمارية، بالإضافة إلي أربعة أشجار وترجع أهمية هذه اللوحة في أنها تعبر عن مرحلة ما قبل الكتابة بما تضمنته من علامات ورموز[٦٦]. وذلك في شكل رقم (١٤)

هذا وقد ظهرت سعفه النخيل علي العديد من المنحوتات، ومن ذلك كسرة إناء من حجر البازلت، تؤرخ بعصر الأسرات المبكر الثالث، ٢٤٠٠-٢٢٥٠ ق.م وأبعادها ٢٥,١سم×٩,٥سم محفوظة في متحف برلين تحت رقم ٧٢٤٨، وتظهر إحدى المعبودات وقد وضعت علي رأسها تاجا مورقا وعلي كتفيتها أغصان شجرة النخيل، وتمسك بيدها سعفة نخيل بها تمر، كما في شكل رقم (١٥) وقد تكون هذه المعبودة هي المعبودة "نيسابا"٦٠[٦٧] والمعبودة "انانا"[٦٨].

كما تظهر الشجرة واضحة علي لوحة ضمن فارة (مدينة شروباك)، وهي من الطين المحروق أبعادها: ٢١×٨,٢٥سم، محفوظة بمتحف برلين تحت رقم ٩١٢٨، وتؤرخ بعصر الأسرات المبكر الثالث.

وقد كتب علي اللوحة نقشن بالخط المسماري، ويظهر في اللوحة حيوان له قرن مقوس، وشجرة كبيرة ويبدو الحيوان وقد رجع برأسه للخلف ليأكل بعضاً من أوراق الشجرة[٦٩] كما في الشكل رقم(١٦)

ويلاحظ أن شجرة النخيل كانت من أكثر الأشجار تمثيلاً علي المنحوتات خلال العصر السومري الحديث، إذ تعدد ظهورها علي المنحوتات، ومن ذلك كسرة مسلة الملك " جوديا " وكسرة مسلة الملك " اورنامو "

- اندرية بارو : المرجع السابق ص ١١٨- ١١٩
- احمد امين سليم : دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم، الجزء الخامس، العراق – ايران – آسيا الصغرى، الإسكندرية، ١٩٩٨، ص ١٤٨- ١٤٩
- Pittman, H., op.cit, P. 20

(65) Crawford, E., op.cit, P. 10. Fig, 13

(66) Benzel, K., Graff. B.C., op.cit, P.58, Fig, 24
- Hansen, D., op.cit, P.41, Fig, 11

(67) Hansen, D., Cities of the South, in Art of the First Cities, the Metropolitan Museum of Art, New York, 2003, P. 77-78, Fig 36

(68) Kramer, N.S., Inanna Aqueen of Heaven and Earth, New York, 1983, P.117, Fig.1

(69) Hansen, D., op.cit, P. 56-57, Fig. 23

أما فيما يتعلق بكسرة مسلة الملك "جوديا" فقد عثر عليها في "تللو" وهي مصنوعة من الحجر الجيري أبعادها ٧٠,٥سم×٢٧,٥سم، تؤرخ بعصر أسرة لجش، خلال حكم الملك جوديا ٢٠٩٠ ق.م، ومحفوظة في متحف برلين تحت رقم ٢٩٠٩

ويوضح النحت الملك "جوديا" وهو حليق شعر الرأس مرتديا ثوبا طويلا وممسك بيده اليمنى سعفه نخيل تصل حتي كتفه الأيمن، ويبدو في صحبته اله يمسك بيده اليسرى[٧٠] كما في شكل رقم (١٧).

كما تظهر شجرة النخيل علي مسلة الملك "اورنامو" من عصر أسرة أور الثالثة، وهى مصنوعة من الحجر الجيري ومحفوظة في متحف الآثار والأنثروبولوجي بجامعة بنسلفانيا تحت رقم 16676.14 وأبعادها:

١٠٥سم×٣٩,٥٠سم[٧١].

وقد عثر على هذه المسلة في "سوسه"، ويظهر الملك "اورنامو" وهو يقوم بطقس سكب الماء المقدس علي أنية علي شكل كأس بها شجرة نخيل تتدلي منها سعفتان، بينما تجلس المعبودة "انانا" وتمسك بيدها خاتم وعصا وهما من رموز السلطة الملكية[٧٢] وذلك كما في الشكل رقم (١٨)

الشجرة علي الرسوم الجدارية:

كما رسمت الشجرة علي الرسوم الجدارية، ومن أوضح الأمثلة علي ذلك، الرسم الجداري بقاعة العرش بقصر الملك "زمري ليم" ملك ماري وهي لوحة محفوظة في متحف اللوفر، إذ تضمنت نقوش الغرفة رقم ١٣٢ لوحة تشبه في تفاصيلها ما جاء علي مسلة الملك "أورنامو" من حيث أداء الملك لطقس سكب الماء المقدس أمام المعبودة "انانا" وفكرة تمثيل المعبودة أمام الشجرة[٧٣]. شكل رقم (١٩) ويؤرخ هذا الرسم بعصر أسرة أور الثالثة.

هذا وقد استمر نقش الشجرة علي الرسوم الجدارية في العصر الأشورى، ويقتني المتحف البريطاني لوحة تحت رقم ١٢٤٩٣٩، وهي لوحة جدارية لحديقة معبد أشوري من نينوي، ويظهر في الرسم مختلف أنواع الأشجار بالحديقة[٧٤]. كما في الشكل رقم (٢٠)

(70) Evans, N.J., Mesopotamian Art at the Third Millennium, B.C. in Art of the First Cities, The Metropolitan Museum of Art, New York, 2003, P. 417, Fig. 311.

(71) Ibid, P. 444, Fig. 317

(72) Harper, O.P., Aruz, J., The Royal City of Susa, Ancient Near Eastern Treasures in Louvre, New York, 1992, P. 171, fig 47

- Saggs, H. Peoples of the Past Babylonians- British Museum, 1995, P. 84

(73) Jeffery, M., op.cit, P. 19, Fig 1

- Pittman, P., op.cit, P 37
- Ameit, P., Art of the Ancient Near East, New York, 1977, P.63.

(74) Bauks, N., Sacred Trees in the Garden of Eden and Their Ancient Near Eastern Precursors, in JAJ, Vol.3, 2012, P. 281, Fig. 6

الشجرة والحلي

لم يغفل الفنان في العصر السومري عن استغلال الشجرة في فن تشكيل الحلي ليضيف بذلك إلي هذا الفن عنصرا جديدا – يستخدمه في تشكيل وتركيب قطع الحلي والقطع الفنية.

ولعل من أجمل القطع الفنية التي كانت الشجرة عنصرا من عناصر تركيبها قطعة فنيه، مصنوعة من الذهب والفضة، اللازورد، والنحاس، الصدف، الحجر الجيري الأحمر، القار وهي من المقبرة الملكية في مدينة أور ومحفوظة في متحف الآثار والأنثروبولوجي بجامعة بنسلفانيا تحت رقم 702-12-30، أبعادها: ٤٢,٦سم×١٦,٢٥سم، وتمثل هذه القطعة الفنية عنزة ترتكز بساقيها الخلفيين علي قاعدة عليها شجرة، وترتكز العنزة بساقيها الأماميتين علي هذه الشجرة، لتبدو العنزة وكأنها في أحضان هذه الشجرة(٧٥). وذلك كما في شكل رقم (٢١)

كما يعد غطاء الرأس للملكة "بوابي" من أسرة أور الثالثة قطعة من قطع الحلي التي استخدمت الشجرة كعنصر في تركيبها، وهذا الغطاء مصنوع من الذهب واللازورد، أبعاده ٣٦سم×١٤,٥سم، وهو محفوظ في متحف الأنثروبولوجي بجامعة فيلاديلفيا تحت رقم B16693 ويعد غطاء الرأس للملكة "بوابي" من قطع الحلي الرائعة، ومن الأجزاء الهامة في تركيبه أوراق شجر ذهبية لشجرة الصفصاف وشجرة الحور، ولعل الدقة في توضيح شكل ورقة الشجر تمثل أمرا جديرا بالملاحظة بل هي من أهم ما يميز هذا الغطاء من الناحية الفنية(٧٦). كما في الشكل رقم(٢٢)

ومن قطع الحلى التي استخدم في تشكيلها الشجرة تاج الملكة "بوابي" إذ يعد إحدى قطع الحلي التي تمثل الشجرة عنصرا هاما من عناصر تكوينها، وقد اشتمل هذا التاج في تشكيله علي عدة منها عناصر نباتية تتمثل في عنقود بلح وثمار شجرة التفاح، بالإضافة إلي عناصر حيوانية مثل ثور، غزال، كبش(٧٧)، وذلك كما في الشكل رقم (٢٣).

---

(75) Read, J., the Great Death pit At Ur, in Art of the First Cities, the Metropolitan Museum of Art, New York, 2003 P. 121, Fig 71
- Bernabeo, P., op.cit, P.53

- اندرية بارو: المرجع السابق، ص ٢١٠

(76) Miller, N., " Plant forms in Jewellery from the Royal Cemetery At Ur" Iraq, Vol. 62, 2000, P. 149, Fig, 1

- Read, J., op.cit, P. 110, Fig, 61a

(77) Miller, N., " Symbols of Fertility and Abundance in the Royal Cemetery At Ur" AJA, 117, 2013, P. 127 Fig, 1

- Miller, N., " Plant forms in Jewellery from the Royal Cemetery At Ur" Iraq, Vol. 62, 2000, P. 151, Fig, 2.

ويمكن القول بأن تمثيل العناصر النباتية علي تاج الملكة "بوابي" يثير التساؤل حول مدلول هذه العناصر المتمثلة في عنقود البلح وثمار التفاح وقد يفسر الأمر بأنه يرتبط بطقوس وشعائر خاصة بالمعبودة "انانا"

وقد تكون دلالة استخدام هذه الأشجار ذات مغزي ديني وهذا ما تؤكده "أسطورة الملك جلجامش" الذي كان يبحث عن الخلود فذهب إلي غابة الأرز وقطع أشجار الأرز ليحصل علي نبات الخلود، فربما كان تمثيل هذه العناصر المتعلقة بأوراق الشجر وثمار الشجر علي كل من غطاء الرأس وتاج الرأس للملكة بوابي يرتبط بفكرة البحث عن الخلود.

نتائج البحث:

تؤكد الدراسة على أن الإنسان في بلاد العراق القديم قد تأثر بالبيئة من حوله وترك هذا التأثر مخزونا فكريا في ذهن هذا الإنسان وانعكس ذلك على إنتاجه الحضاري بشكل عام.

كما تؤكد الدراسة على أن الإنسان في بلاد العراق القديم قد عرف زراعة الأشجار خلال مرحلة عصر الحضارة (العبيد 0) وتمثل ذلك في العثور على نوى شجرة البلح وقطع من أشجار الصفاف والحور في موقع تل العويلى.

كما توضح الدراسة أن شجرة النخيل كانت من أهم أنواع الأشجار عند السومريين فهي الأكثر تمثيلا ووضوحا في المجالات الفنية.

وتدل الدراسة على أهمية شجرة الأرز حيث ذكرت في النصوص السومرية مما يدل على معرفة السومريين بهذه الشجرة، وقد عرفت كذلك في منطقة الشرق القديم، إذ ورد ذكر هذه الشجرة في النصوص المصرية، فقد أشارت أسطورة (أوزيروست) إلى شجرة الأرز التي كانت تنمو على الساحل في جبيل.

تشير هذه الدراسة إلى أن الإنسان السومري قد اتجه إلى تقديس الأشجار نظرا لأهميتها في حياته وعندما نما فكرة الدينى اعتقد في وجود آله خاصة بالأشجار. وقد استمر تقديس الشجرة في بلاد العراق القديم خلال العصر الأشوري.

تدل الدراسة على تأثر الفن بالفكر الديني عند الإنسان السومري إذ صور هذا الإنسان معتقداته الدينية في مجال الفن وذلك في تمثيل الشجرة على الأختام والمنحوتات والرسوم الجدارية.

كما توضح الدراسة استغلال الأشجار في الحياة الدنيوية والدينية حيث استخدم الإنسان ثمار الأشجار في الطعام وصنع من أخشاب الأشجار أثاثه وأدواته واستخرج من الأشجار الزيوت.

Abstract:

This paper aims to highlight the Role of tree in Sumerian thought. This Role appeared Clearly in all of religious thought and art at the Sumerians.

In fact the role of tree in Sumerian thought was aresult of influenced by the Sumerians to the environment around them, the trees were an environmental components of well-defined in southern Mesopotamia.

The influence of tree in Sumerian thought was clear in the field of religious thought where the belief in the existence of gods tree, and tree was mentioned in the religious Myths of the gods.

The role of the tree was clear also in the field of art and in the representation of tree on each of pottery cylinder seals, sculptures and ornaments.

This paper confirms the role of environment in human life and the importance of trees at the Sumerians.

الأشكال:

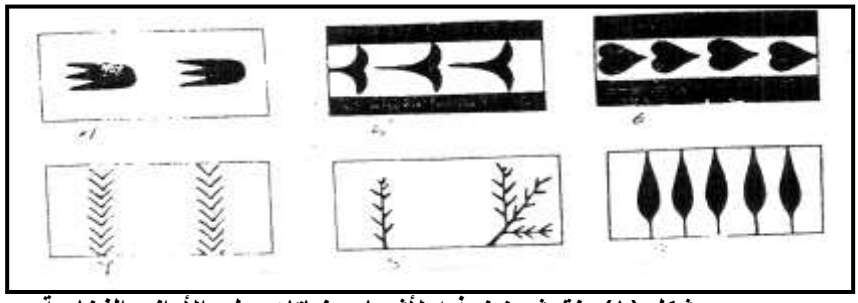

شكل (١): نقوش زخرفيه لأشجار ونباتات على الأواني الفخارية
أكرم محمد: "فخار عصر العبيد في العراق القديم"، سومر، العدد، ٤٤، ١٩٨٥، ص٣٢، شكل١٧(٤-٩).

شكل (٢): كأس بمتحف اللوفر عليها زخارف لسعف النخيل
اندريه بارو: سومر فنونها وحضارتها. ترجمة عيسى سلمان، سليم طه التكريتي بغداد، ١٩٧٧، ص ١٠٨. شكل٧٨.

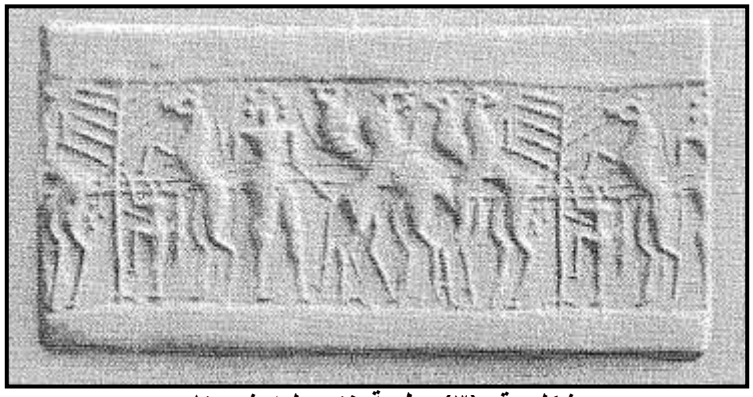

شكل رقم (٣): طبعة ختم عليه شجرتان
Crowford, E., Ancient Near Eastern Art, the Metropolitan Museum of Art. Guide to the Collections. The Metropolitan Museum of art, New York, 1960, P.8, Fig.

شكل رقم (٤): الشجرة على طبعة ختم للملك "امارسين"

Selin, H., Mathematic Across Cultures the History of Non Western Mathematics, Kluwer Academic Publischers, USA, 2000, P. 98, Fig.7

شكل رقم (٥): الشجرة على ختم اسطواني من عصر أسرة أور الثالثة

Aruz, J., from the Mediterranean to the Indus, Art of the First Cities. The Third Millennium B.C from the Mediterranean to the Indus, the Metropolitan, New York, 2003, P.410-411 fig, 301a

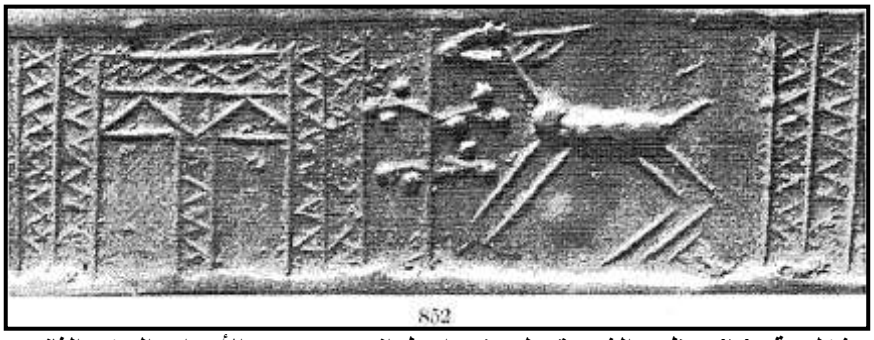

شكل رقم (٦): تظهر الشجرة علي ختم اسطواني من عصر الأسرات المبكر الثاني

Frankfort, H., Stratified Cylinder Seals from the Diyala Region, Chicago, 1955, P.80, Fig852.

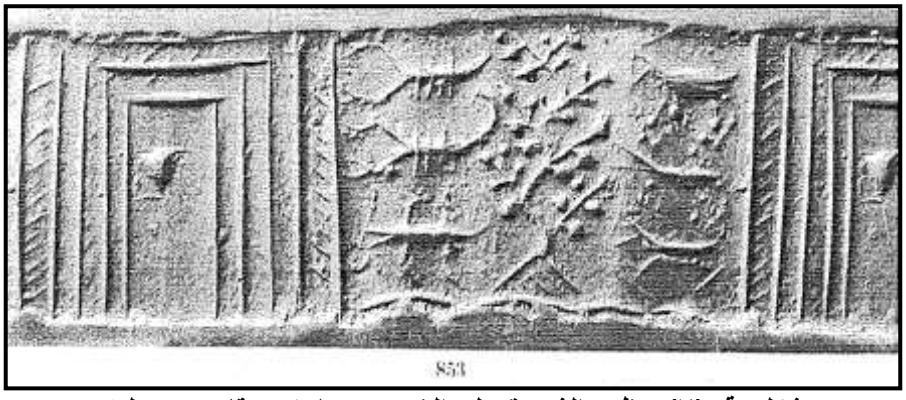

شكل رقم (٧): تظهر الشجرة علي الختم، مع ماعز وعقارب وسحليه

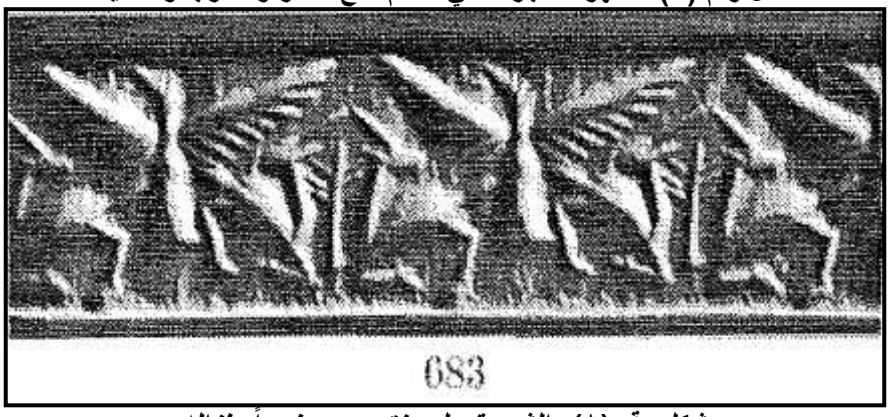

شكل رقم (٨): الشجرة علي ختم ويبدو نسراً بغزاله

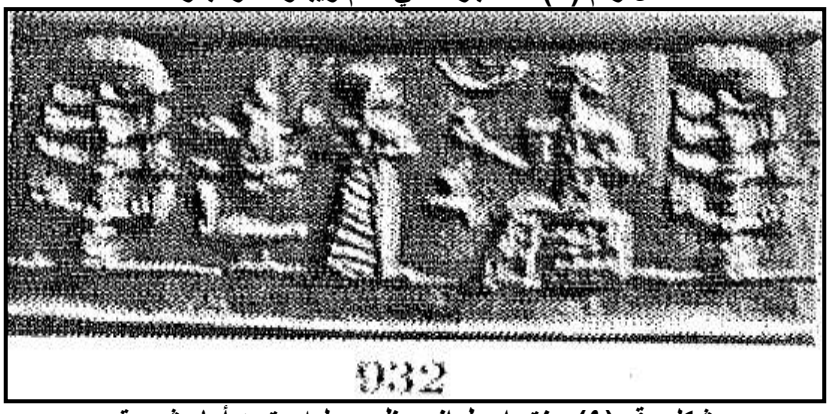

شكل رقم (٩): ختم اسطواني يظهر عليه متعبد أمام شجرة

Frankfort, H., Stratified Cylinder Seals from the Diyala Region, Chicago, 1955, pl. 64, 88, Fig 853, 683, 932

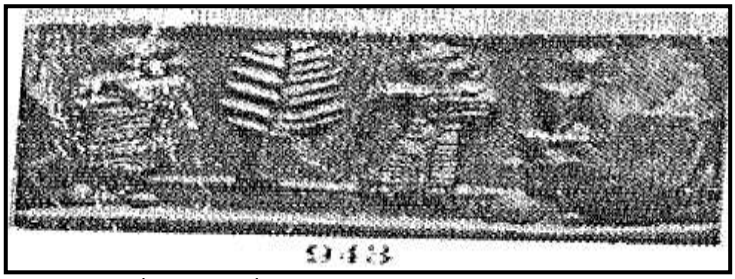

شكل رقم (١٠): ختم اسطواني يظهر عليه آله ومتعبد أمام شجرة

Frankfort, H., Stratified Cylinder Seals from the Diyala Region, Chicago, 1955, pl. 88, 943

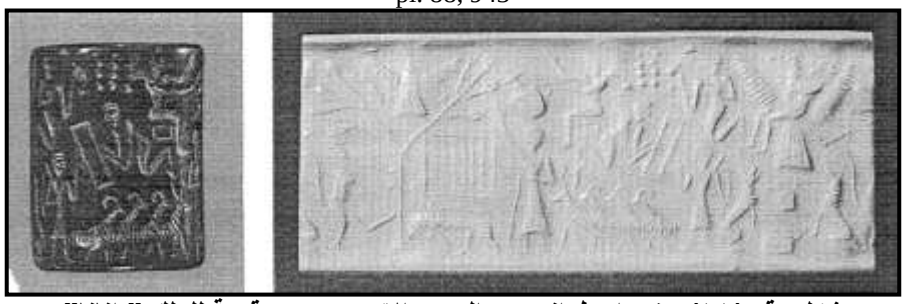

شكل رقم (١١): ختم اسطواني من العصر الاكري يصور قصة للملك " انانا"

Hansen, P.D, Art of the Akkadian Dynasty. in Art of the First Cities. The Third Millennium, B.C from the Mediterranean to the Indus. The Metropolitan Museum, New York, 2003, P. 219, Fig, 14

شكل رقم (١٢): إناء الوركاء النذري

Hansen, D., Art of the Early City- States, the Metropolitan Museum, New York, 2003, P.24 Fig, 9.

شكل رقم (١٣): آنية عليها شجرة النخيل

Crowford, E., Ancient Near Eastern Art, the Metropolitan Museum of Art. Guide to the Collections. The Metropolitan Museum of art, New York, 1960, P.10. Fig.13

شكل رقم (١٤): لوحة عليها مجموعة من الأشجار

Benzel, K., Graff, S., Art of the Ancient Near East A Resource Educators, the Metropolitan Museum Art, 2010, P.58, Fig, 24

شكل رقم (١٥): معبودة تحمل سعفه شجرة نخيل

Hansen, D., Cities of the South, in Art of the First Cities, the Metropolitan Museum of Art, New York, 2003, P. 77-78, Fig 36

شكل رقم (١٦): حيوان يأكل أوراق من شجرة

Hansen, D., Art of the Early City- States, the Metropolitan Museum, New York, 2003, P. 56-57, Fig. 23

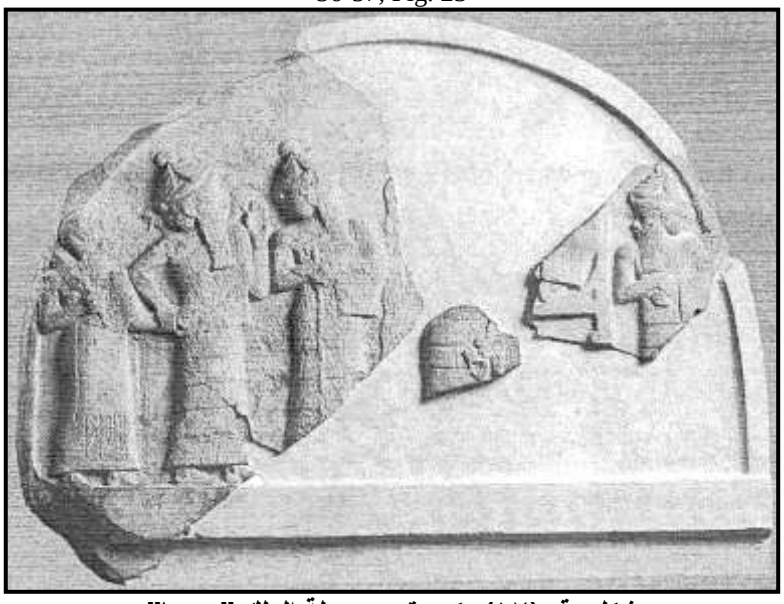

شكل رقم (١٧): كسرة من مسلة الملك "جوديا"

Evans, N.J., Mesopotamian Art at the Third Millennium, B.C. in Art of the First Cities, The Metropolitan Museum of Art, New York, 2003, P. 417, Fig. 311.

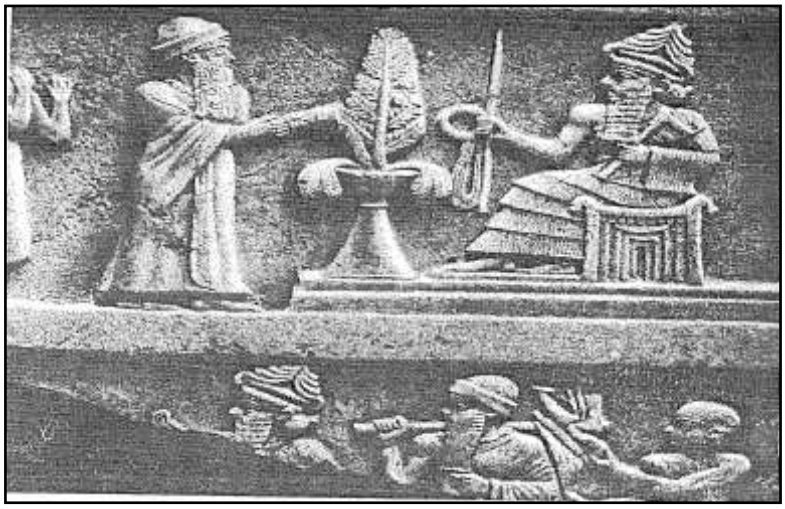

شكل رقم (١٨): شجرة النخيل علي مسلة الملك اورنامو

Harper, O.P., Aruz, J., The Royal City of Susa, Ancient Near Eastern Treasures in Louvre, New York, 1992, P. 171, fig 47

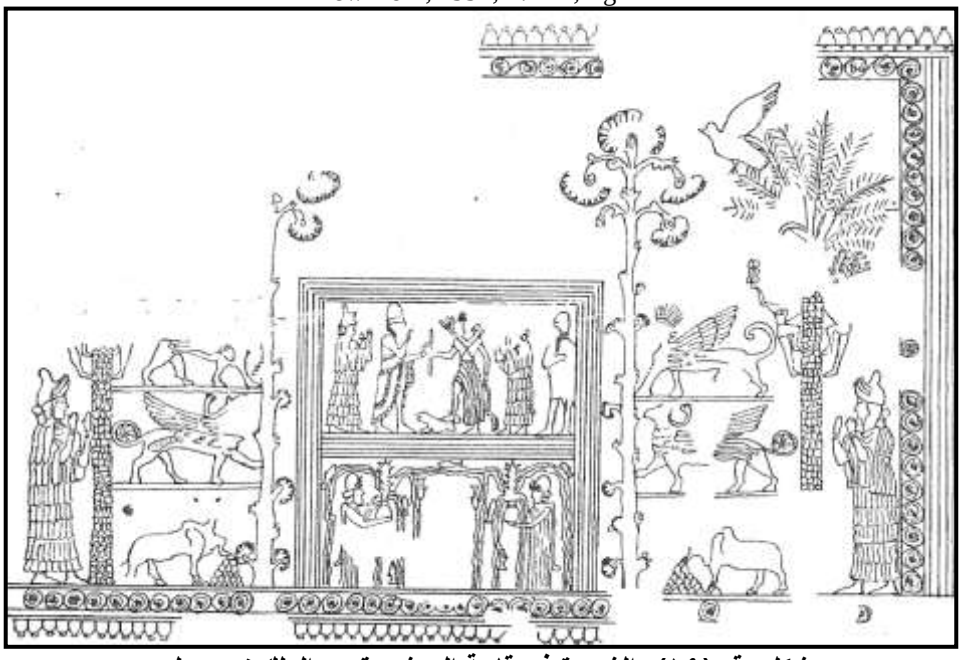

شكل رقم (١٩): الشجرة في قاعة العرش بقصر الملك زمري ليم

Jeffrey, N., Head, J.R., The Investiture Panel at Mari and Rituals of Divine Kingship in The Ancient Near East, SBA, 4, 2012, P. 19, Fig 1

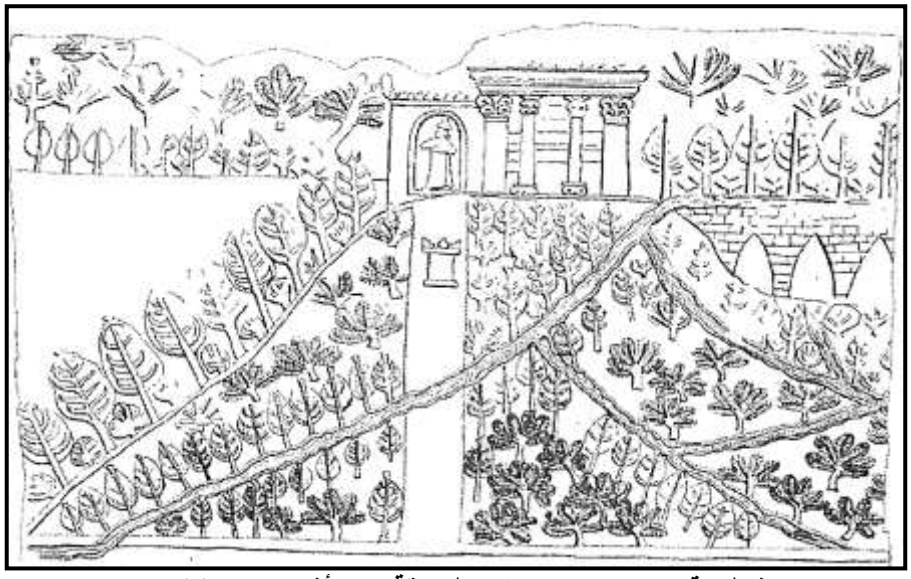

شكل رقم (٢٠): رسم جداري لحديقة معبد أشوري من نينوي

Bauks, N., Sacred Trees in the Garden of Eden and Their Ancient Near Eastern Precursors, in JAJ, Vol. 3, 2012, P. 281, Fig. 6

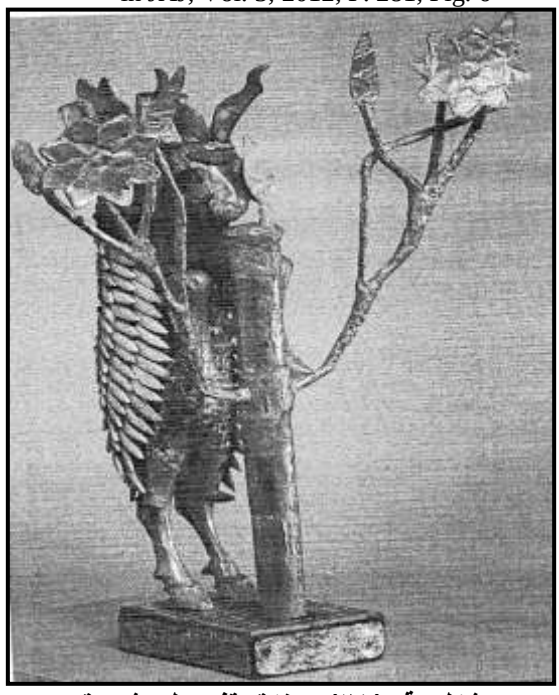

شكل رقم (٢١): عنزة تقف علي شجرة

Read, J., the Great Death pit At Ur, in Art of the First Cities, the Metropolitan Museum of Art, New York, 2003 P. 121, Fig 71

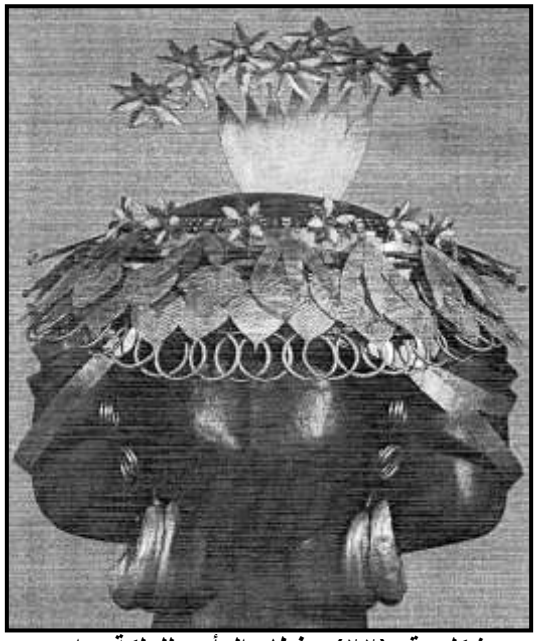

شكل رقم (٢٢): غطاء الرأس للملكة بوابي

Miller, N., " Plant forms in Jewellery from the Royal Cemetery At Ur" Iraq, Vol. 62, 2000, P. 149, Fig, 1

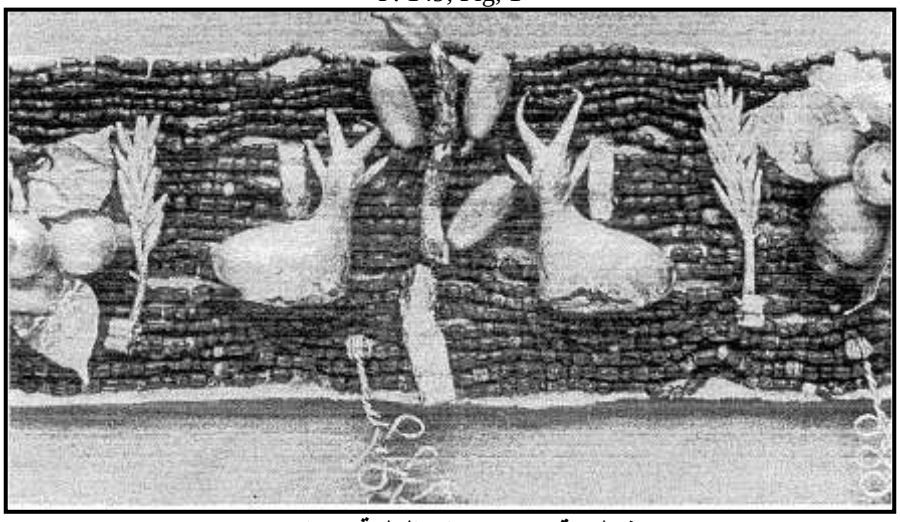

شكل رقم (٢٣): تاج الملكة "بوابي"

Miller, N., " Plant forms in Jewellery from the Royal Cemetery At Ur" Iraq, Vol.62, 2000, P. 151, Fig, 2.